

سمير قصير كماعرفته

سعود المولى

التقيت به في باريس في العام الجامعي ١٩٨١-١٩٨٢، وكنت أتابع تحضير الدكتوراه في صف أستاذنا المرحوم دومينيك شوفالبيه. كان سмир قد جاء إلى باريس ليكمل دراساته في السوربون.. لم أعرف إن كان قد جاء قبل ذلك التاريخ ودرس الإجازة في السوربون أم أنه كان قد حضر فقط لتحضير الماجستير في تلك السنة.. ولم أسأله لاحقاً حول هذه المرحلة من حياته التي كانت بداية تشكل خياراته السياسية والأكاديمية. ولكن أحد أصدقائنا المشتركين قال لي مرة بأن سмир كان منخرطاً لابل لأحد قادة الحزب الشيوعي اللبناني خلال المرحلة الثانوية وبياديات الجامعة... وما أعرفه شخصياً عنه أنه كان يحضر صفوف الدكتوراه معنا من باب توسيع معارفه وخوض النقاشات.. وكان من رواد المحاضرات في صف شوفالبيه غسان سلامة وأمين معلوف ومرة حضر أيضاً غسان تويني.. كان شوفالبيه يحب أن يفتح حوارات فكرية وسياسية في صفه وكان مغرمًا بلبنان واللبنانيين عموماً ناهيك عن تأييده للقضايا العربية؛ فكان يدعو إلى الصف خيرة أهل الفكر والسياسة العرب للنقاش والاستماع بخبرتهم والمعيتهم.. في تلك السنة التقيت إذن بسمير وكان معنا من صاروا أحملاً وأجمل أصدقائه: فاروق مردم بيه من سوريا، وإيلي صنبر من فلسطين، ثم مجموعتنا اللبنانية: أستاذنا وزميلنا المرحوم أنطوان عبد النور (استشهد أمام منزله في بحدون برصاص الغزو الإسرائيلي حزيران ١٩٨٢) وأحمد ببيضون ونواف سلام، وغيرهم طبعاً، ناهيك عن الطلاب الفرنسيين وعلى

رأسهم من صار لاحقاً مميّزاً مثل هنري لورنس... في تلك الفترة كان سмир ما يزال ملتزماً في إطار الفكر اليساري الماركسي التقليدي ولكنه وقد بدأ يكتب في مجلة لوموند ديبلوماسيك اليسارية الفرنسية العالمية فإنه خرج عن شيوعيته اللبنانية الرسمية التي كان قد بدأ يصارع ضدها وضد جمود وتحريفية الأحزاب الشيوعية العربية منذ كان طالباً في اللسييه الفرنسية ببيروت (بحسب ما روي لي لاحقاً).. لا أعرف الكثير عن مرحلة سмир كعضو ناقد ومشاكس في الحزب الشيوعي «التحريفي» ولكنني أعرف أنه اكتشف في باريس عالماً جديداً صار محبباً ومقرباً إليه: عالم الماركسية الماوية واليسارية الإنسانية المتمترجة بنكهة ياريسية مميزة من ربيع ١٩٦٨، وبفحواوية فلسطينية لبنانية ثورية صاحبة تجربة نضالية عميقة، ثم لاحقاً بتشييع ثوري فجزته الثورة الإيرانية، وقد كان بعض رموزها يعيشون في باريس وتلتقي بهم وتداول معهم.. منذ أول لقاء لنا وكان قد سمع عن تجربة جيلنا ومجموعتنا في لبنان أخذ سмир يطرني بعشرات الأساطة عن تجربتنا في الكتيبة الطلابية وكيف جمعنا بين الماركسية الماوية والوطنية والفتحاوية والاسلام الخميني... كانت أساطة سмир كما كتاباته تتم عن نضج ثوري مبكر وعن عمق تخال مع أنه شيخ كبير من شيوخ تجربة الحرب الأهلية ومرحلة السبعينيات النضالية اللبنانية... ومن الأمور التي أذكر نقاشها معه تفاصيل بدايات التجربة الإيرانية الثورية (١٩٧٧-١٩٨١) والتي كانت قد أدت بنهايات مأساوية مع سقوط التيار الديمقراطي الثوري مثلاً بمهدي بازركان وإبراهيم يزدي وأبو

الحسن بنو صدر.. وأذكر أننا ناقشنا مرة تقييمنا المشترك لفشل وانهيار تجربة الاسلام الماركسي الماوي الذي مثله الخط القديم لمنظمة مجاهدي خلق الإيرانية التي تأسست عام ١٩٦٥ على أيدي الشهداء محمد حنيف نجاد وسعيد وحسن وعلي أصغر بديع زادكان، (أعدمهم الشاه يوم ٢٥ أيار ١٩٧٢) بوصفها «منظمة مسلمة ثورية ووطنية وديمقراطية»... وكان حزيران ١٩٨١ قد شهد انتهاء النضال السلمي لتيار مجاهدي خلق وتيار بني صدر وانتقالهم إلى خارج إيران وإلى المعارضة العنيفة لنظام الخميني... وفي نفس الفترة (١٩٨١-١٩٨٢) كنا نحن اللبنانيين الماويين الفتحاويين نعيش أزمة عميقة ناتجة عن تمزق تيارنا مع صعود الاسلام المقاتل (حزب الله وحركة التوحيد وقد بدأ صعودهما بالاترابط بالصراع السوري الفلسطيني على لبنان قبل وبعد ١٩٨٢) الأمر الذي أدى إلى انهيار تجربتنا في المقاومة الشعبية المدنية والمسلحة (الكتيبة الطلابية) برغم محاولات الشهداء علي أبو طوق ومروان كيالي وأبو حسن إبحيص وسلطان التميمي (حمدي) إنقاذ التجربة قبل استشهادهم جميعاً... وفي باريس كانت المجموعات العربية تلتقي وتناقش أزمة اليسار العربي والماركسية والثورة الفلسطينية والتجربة الإيرانية كما تناقش دروس أيار ١٩٦٨ الفرنسي ومجموعاته وتجارب اليسار الأوروبي القريب الضيق بيسارنا... ومن رحم هذه التناقضات والأشكاليات الثورية تشكلت خيارات سмир قصير... ولكن الصاعق المفجر لخياراته (باعترافي) كان غزو لبنان صيف ١٩٨٢...

١٩٨٢

التقيت سмир بعد غزو ١٩٨٢ وكنت أتردد ما بين باريس وتونس لإنهاء أطروحتي.. وعملنا معاً على دعم مبادرة المناضل إيلان هاليفي في اللجنة الدولية للدفاع عن المعتقلين والأسرى اللبنانيين والفلسطينيين في معتقل أنصار... وخلال الأعوام ١٩٨٢-١٩٨٥ استمر سмир في متابعة سميثار شوفالبيه للدكتوراه في حين كان ينهي مرحلة الماجستير.. وأذكر تماماً مشاركته الرفاق والأصدقاء في جلسة مناقشة أطروحتي في السوربون يوم ١٢ شباط ١٩٨٤ وقد تابعنا النقاش في المقهى القريب رفقة صديقنا عبدالله حداد ويضع الأصدقاء المغاربة والمصريين... كان حماس سмир للمقاومة الوطنية والإسلامية، اللبنانية - الفلسطينية، يحد مبرراته في القيادة المشتركة التي أقامها الشهداء أبو جهاد (اغتاله الإسرائيليون في ١٦ نيسان ١٩٨٨) وأبو الوليد (سعد صايل اغتاله السوريون صباح عيد الأضحى ٢٩ أيلول ١٩٨٢) والشهيد أبو أنيس (جورج حاوي اغتاله السوريون في ٢٦ حزيران ٢٠٠٥) والمناضل أبو خالد (محسن إبراهيم أطل الله بعمره)... وقد سعدني سмир على جمع مواد كتاب توثيقي تاريخي للمقاومة في السنوات ١٩٨٢-١٩٨٥ (تاريخ الإنسحاب الإسرائيلي الأول والكبير وتأسيس حزب الله في ١٢ شباط) ولكننا لم ننشر الكتاب لأسف وما زالت مخطوطة بجزئتي... نعم انخرط سмир في الدعم الكامل للمقاومة كتابية وتحريفاً وتدريباً... واقترب أكثر فأكثر من فلسطينيته الفتحاوية التي كان يقترح بها كلمة التقينا أننا وهو والياس خوري أو كلما صار هو يلتقي محمود درويش والياس خوري في إطار نشاطات ياريسية أو عربية أو في إصدار مجلة الكرمل... وشارك في الكتابة والتحرير في مجلة اليوم السابع التي أسسها بلال الحسن في باريس (١٩٨٤) إلى جانب



بيروت

عاد سмир إلى بيروت في العام ١٩٩٠ أستاذاً للعمل السياسية في جامعة القديس يوسف وكان ذلك في أجواء اتفاق الطائف الذي لم ير النور في التطبيق... ومنذ العام ١٩٩٣ صار مديراً عاماً لمنشورات النهار وكتابياً لعمود أسبوعي (يوم الجمعة) إلى جانب عمودي غسان تويني وجورج خضر التاريخيين، وكان ذلك في حد ذاته تكريساً له موقفاً عضوياً وكتابياً وصحيفياً مبدعاً وناشراً متميزاً.. وكرس سмир وقته لعمله الصحافي والنشري

وأيضاً لإصدار بعض كتبه بالفرنسية... كتب مع فاروق مردم بيه «الطريق من باريس إلى القدس»، «فرنسا والصراع العربي الإسرائيلي» الجزء الأول ١٩١٧-١٩٥٨ (منشورات مجلة الدراسات الفلسطينية-باريس ١٩٩٢) الجزء الثاني: ١٩٥٨-١٩٩١ (باريس ١٩٩٣). وكتب «مساحة أزمنة»، وهي مقالة ضمن مجموعة دومينيك شوفالبيه وتدريبه ميكال، «العرب من الرسالة إلى

● سمر قصير

التاريخ» (باريس، فايار ١٩٩٥)... في العام ١٩٩٢ أطلقت منظمة العمل الشيوعي نقداً ذاتياً غير مسبق، صدر جزء منه في كراس صغير بعنوان «في الاشتراكية: نص نقدي تحليلي» (صدر في منتصف نيسان ١٩٩٣).. وكان الحزب الشيوعي هو الآخر يشهد حالة تملل ثوري وانتقادات ودعوات لمراجعة تجربة اليسار اللبناني والحرب الأهلية... في نفس تلك السنة أطلقنا (سмир

فرنسيه وفارس وسعيد وهاني فحس وسعود المولى ومحمد حسين شمس الدين وشوقي داغر وجان حرب وسمير عبد الملك ورشيد الجمالي وخالد لطفى وغيرهم) المؤتمر الدائم للحزب اللبناني وعقدنا عدة حلقات ودنوات ناقشنا فيها تجربة الحرب الأهلية وضرورات المكاشفة والمراجعة والمصالحة لبناء سلم أهلي راسخ... وأصدرنا نشرة أسبوعية (قضايا الأسبوع) ثم مجلة شهرية (أوراق الحوار) ودراسات موسمية (قضايا لبنانية) شكلت كلها رافعة حوار فكري نزي وعمل وطني جدي انخرط فيه سمر قصير ونصير الأسعد وغيرهما من التيار اليساري المستقل الباحث عن الحقيقة والعدالة في حياة البشر... كان الحوار بيننا وبين سمر يدور حول معنى اليسار في الوضع اللبناني الباحث أولاً عن تحقيق سلم أهلي ووقف الحروب الأهلية وتوحيد المجتمع وحفظ التعددية والديمقراطية والحرية فيه وعن بناء دولة ونظام سياسي يتأسسان هذا الواقع وعن شروط فتح أفق تطور وتقدم حقيقة وليس لفظاً... وكان حوارنا يدور أيضاً حول معنى المقاومة وشروطها وأفاقها في فلسطين ولبنان، وحول الوضع الدولي والعربي، خصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفياتي والمنظومة الاشتراكية وبروز نظريات نهاية التاريخ وصدام الحضارات... وكان سمر يتجاوب مع حواراتنا في ما كان يكتبه على صفحات النهار ومجلة الأوربان أكسبريس التي رُشس تحريرها (١٩٩٥-١٩٩٨).. ولكن سمر تميز بحفاظه على موقعه اليساري المميز ضمن الحالة الحوارية الوطنية ولعل ذلك هيباه لبشارك في تأسيس المنبر الديموقراطي (٢٠٠١) إلى جانب حبيب صادق وسمر فرنجة وحكمت العبد ونصير الأسعد ومحمد علي مقلد وعبدالله زرق وأنطوان حداد ومئات الأصدقاء والرفاق في حركة يسارية ديموقراطية ضمنت المئات ولم يشهد لبنان لها مثيلاً (لا من قبل ولا من بعد لأسف) ثم في تأسيس حركة اليسار الديموقراطي (٢٠٠٤) مع رفائه الياس

خوري وزياد ماجد والياس عطالله وتديع عبد الصمد وحكمت العبد وحنا صالح ووديع حمدان ومبارك ضو ووليد فخر الدين وفاروق يعقوب إضافة إلى المنظمات الشبابية اليسارية ومنظمة طلاب شيوعيون المنشقة عن الحزب الشيوعي... كان سمر متحمساً لكل تيارات الاعتراض والممانعة داخل اليسار عموماً والحزب الشيوعي خصوصاً وكان يستمتع بالحوار مع سمر فرنجة وحبيب صادق ومحسن إبراهيم وكريم مروة وجورج بطل وتديع عبد الصمد وغسان الرفاعي ونسيم ضاهر وحكمت العبد ونصير الأسعد ويدعوهم إلى كتابة تجربتهم اليسارية القيادية خدمة للجيل الجديد وللحقيقة والتاريخ، مطالباً إياهم في نفس الوقت بتقديم كشف حساب صارم مع العقل التاريخي والاستبداد داخل اليسار ومن أجل بلورة رؤية يسارية وطنية تحمل هموم الناس وخصائص تجاربها ودروس حروبها الأهلية كافة... ومنذ التمديد للرئيس لحود (٢٠٠٤) ابتداء صراع سمر الكبير والخطير مع أنظمة السوربون والاستبداد ومع الوصاية السورية ومن أجل الحرية والكرامة... ولا ننسى هنا أن نذكر مؤلفاته الأشهر والتي تقول لنا عنابها عن ماهية خيارات سمر الحقيقية وتوجهاته النضالية والإنسانية: «عسكر على مين؟ لبنان الجمهورية المفقودة» (دار دمشق، دار النهار-٢٠٠٤)، «تأملات في شقاء العرب» (دار النهار-٢٠٠٥)، «تاريخ بيروت» (منشورات فايار، باريس ٢٠٠٣)، «بالعربية عن دار النهار-٢٠٠٣»، «حرب لبنان من الشقاق الوطني إلى النزاع الكارثي ١٩٧٥-١٩٨٢» (منشورات كارثالاسيرمود ١٩٩٤) «وبالعربية عن دار النهار-٢٠٠٧»... وبعد... فهذا هو سمر قصير كما عرفته... كان في أول ربيعنا العربي ومن أول شهدائنا...